بامر الملائكة يكتبوا له ما كان يعمل صحيحا مقيما فعلم ان الشريعة لو
كانت جاءت على احدى مرتبتي الميزان فقط لكان فيها حرج شديد
على الامة في قسم التشديد ولم يظهر للدين شعار في قسم التخفيف
وكان كل من تكلم لنا في مسئلة قال فيها بالتشديد لا يجوز له العمل
بقول غيره في مضايق الاحوال والضرورات فكانت المشقة
تعظم على الامة بذلك فالحمد لله الذي جاءت شريعة نبينا صلى الله
عليه وسلم على اكمل حال العلم الاعتدال فلا يوجد فيها شي الا وفيه مشقة
على شخص الا ويوجد فيها شي اخر فيه التخفيف عليه اما حديث او
اثر او قول امام اخر او قول في مذهب ذلك المشدد مرجوح مخفف
عنه فان قلت فما الجواب ان نازعنا احد فيما قلناه من المقلدين
الذين يعتقدون ان الشريعة جاءت على مرتبة واحدة وهي ما عليه
امامه فقط ويرى قول غير امامه خطا يحتمل الصواب قلنا له الجواب
لمن نراه يقلد غير امامه في بعض الوقائع فنقول له هل صار مذهب
امامك فاسدا حال عملك بقول غيره ومذهب الغير صحيحا ام مذهبك
باقيا على صحته حال عملك بقول غيره ولعله لا يوجد له جوابا شديدا
يجيبك به ابدا على وجه الحق وسمعت سيدي عليا الخواص
رحمه الله يقول لا يكمل المؤمن العمل بالشريعة كلها وهو متقيد بمذهب
واحد ابدا ولو قال صاحبه اذا صح الحديث فهو مذهبي لترك ذلك
المقلد الاخذ باحاديث كثيرة صحت عند غير امامه وهذا من
ذلك المقلد عمى في البصيرة عن طريق هذه الميزان وعدم فهمه
لكلام الائمة امامه رضي الله تعالى عنه اذ لو كان امامه رضي الله عنه
يقول عن نفسه الشريعة انه ادى لبيان نصوص رسول الله صلى
الله عليه وسلم من كل احد لما كان يقول رضي الله عنه اذا صح الحديث
اي بعدي فهو مذهبي بمعنى والله اعلم انتهى وهو كلام نفيس فان
الشريعة انما تكمل احكامها بضم جميع الاحاديث والمذاهب بعضها

الى بعض

الى بعض حتى تصير كانها مذهب واحد ذو مرتبتين وكل من اتسع
نظره وتبحر في الشريعة واطلع على اقوال علمائها في ساير الادوار
وجد الشريعة منسوجة من الايات والاخبار والاثار وسداها
ولحمتها منها وكل من اخرج حديثا او اثرا او قولا من اقوال علمائها
عنها فهو قاصر جاهل ونقص علمه بذلك وكان علمه كالثوب
الذي نقص من قيامه او لحمته بسلك او اكثر بحسب ما تقتضيه
الحال فالشريعة الكاملة حقيقة هي جميع المذاهب الصحيحة
باقوال اهل عقل واستبصر نظر بالاخ جميع احاديث الشريعة
واثارها واقوال علمائها الى بعضها بعض وحينئذ يظهر لك
كمال عظمة الشريعة وعظمة هذه الميزان ثم انظر اليها بعد
الضم تجدها كلها لا تخرج عن مرتبتين تخفيف وتشديد ابدا
وقد تحققنا بهذا المذهب ولله الحمد من سنة ثلاثة وثلاثين
وتسعماية فان قلت فما الصنع بالتي صحت بعد موت
امامي ولم ياخذ بها فالجواب ينبغي لك ان تعمل بها فان امامك
لو ظفر بها وصحت عنده لكان امرك بها فان الائمة اسرى
كلهم في يد الشريعة كما سيأتي بيانه فحصل تبريهم من الراي
ومن فعل غير ذلك فقد حاز الخير بكلتا يديه ومن قال لا اعمل
بحديث الا ان اخذ به امامي فاته خير كثير كما عليه كثير من مقلدي
ايمة المذاهب وكان الاولى لهم العمل بكل حديث صحيح بعد امامهم
تنفيذا لوصية الايمة فان اعتقادنا فيهم انهم لو عاشوا
وظفروا بتلك الاحاديث التي صحت بعدهم لاخذوها وعملوا
بها وتركوا كل قياس كانوا قاسوه وكل قول كانوا قالوه وقد
بلغنا من طريق صحيح ان الامام الشافعي ارسل يقول للامام
احمد بن حنبل اذا صح عندكم حديث فاعلمونا به لكي ناخذ به ونترك
كل قول قلناه قبل ذلك او قاله غيرنا فانكم احفظ للحديث

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)